

عش للجمال تراه العين مُؤتَلَةً في أنجم الليل أو زهر البساتين
وفي الربي نصبت كُف الأصيل بها سُرَادِقاً من نُضارٍ للرياحين
وفي الجبال إذا طاف المساءُ بها وَلَقَّها بِسرابيل الزهابين
وفي السواقي لها كالطفل تَرْتَرَةٌ وفي البروق لها ضحك المجانين
وفي ابتسامات أيارٍ وَرَوَعَتْها إن تَوَلَّى ففي أجفان تشريين
لا حينَ للحسن لا حدَّ يُقاسُ به وإنما نحنُ أهلُ الحدِّ والحين
فكم تماوج في سربال غانِيَةٍ وَكَمْ تَأَلَّقَ في أسمال مسكين
وَكم أحسَّ به أعمى فَجَنَّ لَهْ وَحوْلَه أَلْفَ راءٍ عَبرِ مَفْتون
عش للجمال تراه هَهْنا وَهَهْنا وَعش لَهْ وَهو سِرٌّ جِدُّ مَكنون
خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ لا حنينَ لَهُم إلى الجمال تماثيلٌ مِنَ الطين

إيليا أبي ماضي

ملاحظة النص

يتضمن عنوان النص دعوة إلى جعل " الجمال " سببا للعيش وغاية في الحياة ، وهي دعوة توجي بأن الجمال أسمى قيمة تحيط بالإنسان ، وأنه في الطبيعة أظهر وأوفى ، وأنه يتجاوز الظاهر والشكل ، ويكمن في التناسق المثير بين العناصر والانسجام الرائع بين الأجزاء ، والتناغم اللامحدود للأشكال والحركة والألوان والأصوات والإيحاءات الدالة المتصلة بأكتناه الأشياء وحقائق الموجودات ، وما يثيره في النفس من إحساس عميق ومعاناة ممتعة صادقة. ولعل لوحة فان غوغ المصاحبة للنص بألوانها وأشكالها السديمية ودلالاتها على نقاء الطبيعة وجمالها، ومضمون البيتين الأول والتاسع ، يعكسان هذا المفهوم. والنص لإيليا أبي ماضي الشاعر المهجري الذي جمع بين أحلام الرومانسية ونزعاتها الإنسانية وروحانية الأدب الأمريكي في مسحة تفاؤلية تدعو الإنسان إلى الالتفات إلى كل جميل ونبييل والابتعاد عن كل قبيح وشرير.

فهم النص

يستهدف الشاعر في البيت الأول الإنسان بشكل عام ، ويدعوه إلى معانقة الجمال المبتوث حوله في كل مظاهر الطبيعة مركزا على ما تلتقطه العين من أجزاء لها سحر خاص ووقع كبير على نفسية المتأمل (النجوم والأزهار).

يستمر سرد منابع الجمال في الطبيعة من مطلع القصيدة إلى البيت الخامس استمرارا قائما على تحريك الجماد وبث الحياة فيه، وإلباسه المشاعر الإنسانية المثالية والحالمة بلغة تصويرية شفافة، وهكذا ينصب كف الأصيل في الربي خيمة من ذهب كبيرة لأزهار الرياحين ، ويلف الليل الجبال فيكسوها لباسا أسود كمسوح الرهبان يزيدها جلالا وجمالا، بينما السواقي تثرثر كالأطفال ثرثرة جميلة وبرينة وعذبة، والبروق تضحك ضحكا عريضا مدويا خاما وغامضا وملفتا كضحك المجانين، وتبتسم الطبيعة ابتهاجا ومرحا وأواخر الربيع ، وتخلد للسكون استغراقا في التأمل الحكيم والهدوء الساحر أوائل الخريف.

الإنسان في نظر الشاعر عاجز عن استقصاء الجمال المحيط بالإنسان في الطبيعة والحياة ، لأن هذا الجمال لا نهائي وغير محدود، بينما يقف إدراك الإنسان وإحساسه عند حدود معينة مهما كان أصيلا وعميقا ومرهفا، ناهيك عن كونه متفاوتا من إنسان لآخر

ومتجاوزا وظائف الحواس البسيطة وعملياتها الإدراكية السطحية وأشكال الظواهر المرئية وخصائصها العرضية، فقد يلتمس في مظهر حسناء فاتنة كما يلتمس في أطمار معدمة بئسة، وقد يدركه الأعمى، ويفتتن به، ويغفله المبصرون السذج.

يجد الشاعر دعوته في آخر قصيدته للإنسان إلى الذوبان في الجمال والتقاط أسراره بالنظر المتأمل والاستبصار العميق الذي يتغلغل إلى المكونات الموجودة في الطبيعة والحياة، فيستكشف ينابيع الجمال فيها التي تحيل الكون والإنسان إلى وجود جميل ينبض بالسعادة والخير والأمل والحلم، ويخلص الإنسان من ميوله المادية الصرفة (تماثيل من الطين) التي تكبله وتستعبده.

تحليل النص

المستوى الدلالي

صاغ الشاعر دعوته للإنسان إلى رحاب الجمال بلغة تصويرية موحية رصدت مظاهر الجمال وكشفت عن أسرارها العميقة عبر نفس حاجي اضطلع فيه الأسلوب بوظيفتين إقناعية وإمتاعية.

يتم فصل النص إلى ثلاثة مفاصل دلالية كبرى نعنونها كالآتي:

- دعوة الشاعر الإنسان إلى الاستمتاع بالجمال المحيط به من كل جهة
- إقرار الشاعر بعجز الإنسان محدود القوة الإدراكية عن الإحاطة بأسرار الجمال غير المحدود.
- دعوة الإنسان إلى التخلص من قيوده المادية وإدراكه السطحي لسبر أغوار الجمال السحيقة في الأشياء.

المستوى الدالي

وظف الشاعر معجما فنيا غنيا بعناصر الطبيعة وصفات الجمال المتصلة بها كشأن الرومانسيين في اعتبار الطبيعة خزانا لا حدود له لمعاني الجمال وأسراره، ويمكن تمثيل العلاقة بين هذين المكونين في الجدول التالي:

عناصر الطبيعة	صفات الجمال المتصلة بها
الأزهار - النجوم - السواقي - البروق - شمس الأصيل - الجبال - الربيع (أيار) - الخريف (تشرين) ...	الجمال - الائتلاق - ثرثرة الأطفال - ضحك المجانين - لون الذهب المسبل على الرياحين - سواد الليل وجلاله ورهبتة - شموخ الجبال - الابتسام - انسداد الأجنان...

يغلب على لغة النص الطابع التصويري الإيحائي، حيث تستعار فيها أفعال الإنسان وملامحه وتسد إلى مكونات الطبيعة، وتشحن فيها بعض الألفاظ بدلالات تتجاوز المحمول الدلالي البسيط، ومن أمثلتها: نصبت كف الأصيل سرادقا من نضار للرياحين - لف المساء الجبال بسرابيل الرهايين - ابتسامات أيار - ضحك تشرين - تماثيل من الطين ...

استعمل الشاعر أدلة حسية وأخرى عقلية ليعين للمتلقي مكان الجمال في الطبيعة في معادلات منطقية صارمة ولمسات حجاجية معقولة ومقبولة، فمن الاستدلال بالمحسوس استعراضه مظاهر الجمال الملتقطة بالمدارك الحسية البسيطة مما يشترك في التسليم به كل الناس، ومن الاستدلال بالمعقول تقريره أن أسرار الجمال خفية وغير محدودة تتطلب عمليات إدراكية معقدة يتفاوت الناس في إجرائها، وتستدعي تجاوز الوظائف البسيطة للحواس إلى الاستغراق في التأمل، واستنفار الخاصية الإحساسية المرهفة والمميزة الانفعالية المتدفقة والموهبة الذوقية الخلاقة التي تكفل الوصول إلى بعض من أسرار الجمال اللانهائية.

الأسلوب اللغوي

تكررت في القصيدة ألفاظ وعبارات بعينها مثل: "عش للجمال"، و"حرف الجر" في"، و"كم الخبرية"، ولهذا التكرار وظيفة جمالية تنسجم مع مقصدية النص المتجلية في إبراز التدفق الهائل للجمال في محيط الإنسان تدفقا من شأنه أن يهبه الحياة الجميلة المفعمة بالحق والخير والنور والأمل والقدرة على الإبداع والتماهي في الجمال، ووظيفة جمالية أخرى مؤثرة بما وفره من انسجام تركيبية ودلالية وكثافة إيقاعية.

تركيب وتقويم

النص نداء جميل موجه إلى الإنسان كي يسبح بكل حواسه الظاهرة والباطنة في مظاهر الجمال التي تكتنف الوجود وتصنع أجزاءه، متجردا من قيود المادة التي تعيق قدراته الإدراكية عن التوغل في عوالم الجمال الدفينة وأسراره المجهولة، وهو نداء يتوسل بلغة بسيطة ومناسبة يخلق فيها التكرار وكتل الصوت اللينة ومعجم الطبيعة والوجدان وتناغم المقاطع النغمية القصيرة والمتوسطة لبحر الخفيف عالما رومانسيا حالما ولحنا أثيريا متدفقا يشعان جمالا وإيحاء.